حورية عبيب

كلية العلوم الإسلامية

جامعة الجزائر

نحو القراءات القرآنية في سورة الكهف

نحوُ القراءات القرآنية في سورة الكهف

أسعى في هذه المقالة إلى بيان الوجوه النّحوية للقراءات القرآنية التي أباح الله تعالى بها قراءة القرآن الكريم تيسيرًا وتخفيفا على عباده، وإلى إثبات أن القرآن الكريم أغنى بأساليبه وتراكيبه ممّا وضعه النّحويون من قواعد وضوابط، كما أقصد إلى بيان ما يترّتب على تعدد القراءات القرآنية من اختلاف في التوجيه الإعرابي حول القضايا النّحوية لأكشف عن وجه دقيق من وجوه إعجاز القرآن الكريم وثراء أسلوبه بالمعاني. واتخذت سورة الكهف نموذجًا ومادة لإقامة منهج هذه الدراسة عليها، هذا المنهج الذي يعتمد على رصد نحو القراءات القرآنية من هذه السورة الكريمة ثم يقوم بتسليط آراء القراء والنّحاة والمفسرين وأصحاب الاحتجاج وإعراب القرآن الكريم عليها سعيا إلى إدراك الوجوه الإعرابية التي يحتملها هذا النّص القرآني، وإلى إبراز تعدد الدلالة النّحوية من خلال الوجوه الإعرابية، وإلى بيان أن حمل الجملة على وجهين إذا كان لكل وجه ما يبررّه أولى من قصر موقعها على وجه واحد، لما في الأول من تعدد المعنى وإثراء وجوه التفسير، وقبل أن أشرع في بيان نحو القراءات في سورة الكهف، أعرّف بهذه السورة الكريمة.

سورة الكهف من السور المكية عند جمهور العلماء وهي إحدى سور خمس[1] بدئت بالحمد لله، آياتها مائة وإحدى عشرة (111) عند البصريين ومائة وعشرة (110) عند الكوفيين بناء على اختلافهم في تقسيم بعض الآيات إلى آيتين[2].

وسميّت سورة الكهف لما فيها من المعجزة الربّانية من تلك القصة الغريبة قصة أصحاب الكهف، وموضوعها هو موضوع السور المكية جميعها: العقيدة الصافية السليمة وترسيخها في النفوس.

وقد تعرضت هذه السورة لثلاث قصص من روائع قصص القرآن الكريم تقريرًا لأهدافها الأساسية وتثبيتا لعقيدة الإيمان بعظمة ذي الجلال والإكرام.

القصّة الأولى: قصّة أصحاب الكهف، وهي تصوّر التّضحية بالنفس في سبيل العقيدة، تضحية فتية مؤمنين خرجوا من بلادهم فرارًا بدينهم، ولجأوا إلى كهف في الجبل حيث مكثوا نيامًا ثلاثمائة وتسع سنين ثم بعثهم الله تعالى بعد تلك المدة الطويلة.

والقصّة الثانية: قصّة موسى مع الخضر- عليهما السلام- وهي تمثل التواضع في سبيل طلب العلم، فقد بلغ موسى — عليه السلام- من علو المنصب ما بلغ ولكنه تواضع لذلك العالم الخضر عليه السلام الذي آثره الله تعالى بعلم خاص، فسافر إليه موسى عليه

السلام لطلب ذلك العلم وما جرى من الأخبار الغيبية التي لم يعرفها موسى عليه السلام حتى أعلمه بها ذلك العبد الصالح الخضر عليه السلام كقصة خرق السفينة وحادثة قتل الفتى وبناء الجدار.

والقصّة الثالثة: قصة ذي القرنين وهو ملك أعطاه الله من العلم ما أعطاه والقدرة والعدة ما يتوصّل به إلى مقصوده، فوسّع ملكه بالتّقوى والعدل.

وكما وظفت هذه السورة الكريمة في سبيل تقرير غايتها هذه القصص الثلاث، استخدمت أمثلة واقعية ثلاث لبيان أنّ الحقّ لا يرتبط بكثرة المال والسلطان، وإنّما هو مرتبط بالعقيدة، وأن الافتخار يجب أن يكون بالعمل الصالح لا المال.

المثل الأوّل: للغنيّ المزهو بماله، والفقير المعتّز بعقيدته وإيمانه وهو مثل صاحب الجنّتين.

والمثل الثاني: مثل الحياة الدّنيا في حقارتها وقلّة بقائها وما يلحقها من فناء وزوال.

والمثل الثالث: مثل التكبّر والغرور مجسدًا في قصة امتناع إبليس عن السجود لآدم، إذ تكبّر إبليس على آدم مفتخرًا بأصله ونسبه، فناله ما ناله من الطرد والحرمان.

وكلّ هذه القصص والأمثال إنّما ضربها الله تعالى للنّاس ليعتبروا بها، ويرتدعوا عن افتخارهم بكثرة أتباعهم وأموالهم على فقراء المسلمين.

وبعد هذا المدخل العام للسورة الكريمة، أشرع في التوجيه النحوّي للقراءات القرآنية في هذه السورة، هذا التوجيه الذي يشمل سبع آيات قرآنية احتوت على تغيّر إعرابي في القراءة هي: 5، 25، 26، 39، 44، 88، 102.

1-الآية الخامسة وهي قوله تعالى: ﴿كَبُرت كلمةً تخرج من أفواههم﴾ [3].

ذكر القرّاء أنّ أصحاب عبد الله بن مسعود قرأوا قوله تعالى: "كلمة" من هذه الآية الكريمة نصبًا باضمار الفاعل، وأنّ الحسن البصري قرأها بالرفع على الفاعلية وكذا بعض أهل المدينة[4].

كما بيّن الطبري اختلاف القرّاء في قراءة هذه الآية الكريمة، مبيّنا أنّه قرأ عامة قرّاء المدينة والكوفة والبصرة"كبرت كلمةً" بنصب"كلمة" على معنى: كبُرت مقالتُهم التي قالوها كلمةً على التمييز كما يقال: نعم رجلاً عمرو. وأشار أنّ بعض نحويي أهل البصرة

يقول: نُصبت "كلمة" لأنّها في معنى: أكْبِرْ بها كلمة كما قال جلّ ثناؤه: "وساءت مرتفقا"[5]، وأوضح الطبري إلى أنّ بعضَ المكّيين كان يقرأ "كبرت كلمةٌ" رفعًا، كما يُقال: عظُم قولك وكبُر شأنك، فلا إضمار في هذه القراءة لأن "كلمة" هي الفاعل، ثم ذهب إلى أنّ الصواب من تينك القراءتين قراءة من قرأ"كبرت كلمة" نصبًا لإجماع الحجّة من القراء عليها، وتأويلها: عظُمت الكلمة كلمةً تخرج من أفواه هؤلاء القوم الذين قالوا: اتخذ الله ولدًا والملائكة بنات لله[6].

وعلى هذا، فإن قوله تعالى: "كبرت كلمة" قريء بالنّصب وبالرفع، أما النّصب فقراءة الجمهور، ونصبه على التمييز، والفاعل مضمر تقديره: كبرت مقالتهم"اتخذ الله ولدًا"[7]. وفي هذا معنى التعجب قدّره الأخفش[8]: أكْبِرْ بها كلمةً، وشبّهه بقوله تعالى:" وساءت مرتفقًا"[9] وقد ذكر هذا الطبري كما سبق بيانَه، وقدّره الزمخشري[10] وأبو حيان الأندلسي[11]: ما أكبرها كلمة! وقوله تعالى:" تخرج من أفواههم" صفة"للكلمة" استعظامًا لإجترائهم على النطق بها وإخراجها من أفواههم[12].

وذهب الزجّاج إلى أنّ"كلمة" منصوبة على الحال كما أنّ "مقتا" في قوله تعالى:" كبر مقتا عند الله أن تقولوا"[13] حال، لأنّ إضمار الفاعل الذي يعود على اتّخاذ الولد لا يجعله بمنزلة "نعم"، لأنّ فاعل"نعم" لا يكون معهودًا [14].

أمّا رفع "كلمة"، فقد قرأ بها يحيى بن يعمر والحسن البصري وابن محيصن وابن أبي إسحاق والثقفي والأعرج-بخلاف-وعمرو بن عبيد[15] وهي قراءة مجاهد أيضا[16].

ووجه الرفع في هذه القراءة أنّ"كلمة" فاعل" كبرت" بمعنى: عظمت كلمتُهم وهي قولهم:"اتخذت الله ولدًا [17] وقد سبق ذكره، وعلى هذا فلا إضمار في الفعل" كبرت".

2 - الآية الخامسة والعشرون وهي قوله تعالى:" ولبثُوا في كهفهم ثلاثَ مائةٍ سنين وازدادوا تسعًا"[18].

أشار الفراء إلى أن كثيرًا من القراء يقرأون قوله تعالى:" ثلاثَ مائة سنين" من هذه الآية الكريمة بتنوين "مائة" ونصب" سنين" على تقدير: ولبثوا في كهفهم سنين ثلاثمائة، فينصبون"سنين" بالفعل على التفسير، ثم بيّن الفراء أنّ من العرب من يقرأ ذلك بالإضافة، فيضع السّنين في موضع سنة، فهي حينئذ مجرورة[19].

وأكّد الطبري قول الفراء ذاك، فذكر أنّه قرأ عامة قرّاء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين "ثلاثمائة سنين"بتنوين مائة"، بمعنى: ولبثوا في كهفهم سنين ثلاثمائة، وقرأ عامة قراء أهل الكوفة "ثلاث مائة سنينَ" بإضافة "ثلاثمائة" إلى "السنين" غير منّون، ورأى أنّ أولى القراءتين في ذلك بالصواب قراءة من قرأ" ثلاثَ مائة" بالتنوين، وذلك أنّ العرب إنّما تضيف المائة إلى ما يفسرها إذا جاء تفسيرها بلفظ الواحد كقولهم: عندي ثلاثمائة درهم، وعندي مائة دينار، لأنّ المائة والألف عدد كثير، والعرب لا تفسّر ذلك إلا بما كان بمعناه في كثرة العدد، والواحد يؤدي عن الجنس، وليس ذلك للقليل من العدد، وإن كانت العرب ربّما وضعت الجمع القليل موضع الجمع الكثير، وليس ذلك بالكثير، وأمّا إذا جاء تفسيرها بلفظ الجمع فإنّها تنّون فتقول: عندي ألفٌ دراهمُ، وعندي مائةٌ دنانير[20].

كما بيّن ابن مجاهد هذا الاختلاف في القراءة، فذكر أنّه قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم وابن عامر: "ثلاثمائة سنين" منونًا، وقرأ حمزة والكسائي:"ثلاثمائةِ سنين" مضافًا غير منّون[21].

وعلى هذا فتنوين "مائة" قراءة الجمهور، والحجّة لمن أثبت التنوين أنه نصب" سنين" بقوله تعالى:" ولبثوا"، ثمّ أبدل" ثلاثمائة" منها، وكأنّه قال: ولبثوا سنين ثلاثمائة[22]، فيكون من التقديم والتأخير، فقدم الصفة على الموصوف، فتكون"سنين" على هذا بدلاً[23]، أو عطف بيان[24] ، وقيل على التفسير والتمييز[25].

والتنوين في "مائة" يستبعد الإضافة إلى الجمع، لأنّ أصل هذا العدد كما بين الطبري سابقا أن يضاف إلى واحد يبيّن جنسه.

أمّا القراءة الثانية، فهي بإضافة "مائة" إلى "سنين" وترك التنوين كما سبق ذكره، وقد قرأ بها حمزة والكسائي من القرّاء السبع[26] وهي قراءة خلف كذلك[27]، ووجه الإضافة في هذه القراءة وضع الجمع موضع المفرد في التمييز[28]، أي أنّهم أضافوا "مائة" إلى الجمع، فأتوا بالعدد على وجهه وأضافوه على خصّه بالمفسّر مجموعًا على أصله، لأنّ إجماع النحويين على أنّ الواحد المفسّر عن العدد معناه الجمع[29]، وإذا كان قوم[30] قد قالوا إنّ هذه قراءة ليست مختارة، لأنّ العرب إذا أضافت هذا الجنس أفردت، فإنّ أبا زرعة قد ردّ عليهم معتبرا إياها قراءة مختارة ومبيّنا أن حجة قارئيها أنّهم أتوا بالجمع بعد قوله:" ثلاثمائة" على الأصل، لأنّ المعنى في ذلك الجمع وذلك أنّك إذا قلت: عندي مائة درهم، فالمعنى: مائة من الدراهم، والجمع هو المراد من الكلام، والواحد إنّما اكتفي به من

الجمع إذا قيل ثلاثمائة سنة وثلاثمائة رجل، لأن الواحد ها هنا يؤدّى على معنى الجمع بذكر العدد قبله، فعاملوا الأصل الذي هو مراد المتكلم و لم يكتفوا بالواحد من الجمع هذا مذهب قطرب، وقال الكسائي: العرب تقول: أقمت عنده مائة سنة ومائة سنين[31]، وقال مكي بن أبي طالب إن "سنة" بمعنى "سنين" لا اختلاف في ذلك، فحمل الكلام على المعنى، وهذا حسن في الاستعمال قليل في القياس، لأنّ الواحد في الاستعمال أحق من الجمع، فإنّما يبعد هذا الوجه من جهة قلّة الاستعمال وإلاّ فهو الأصل[32]، واعتبر العكبري هذه القراءة ضعيفة[33]، ويقصد بذلك القلة والندرة في هذا الاستعمال الذي خالف فيه القرآن الكريم قواعد النحاة النسبية، وهذا دليل على إعجازه وعلى أنّه يعلو على قوانينهم.

3 - الآية السادسة والعشرون، وهي قوله تعالى:" ما لهم من دونه من وليّ ولا يشركُ في حكمه أحدًا"[34].

ذهب الفراء إلى أنّ قوله تعالى:" ولا يشرك" يرفع إذا كان بالياء على تقدير: وليس يشرك، ويجزم على النهي[35]، وبين ابن مجاهد أن القراء جميعهم قرأوا "ولا يشرك" بالياء والرفع غير ابن عامر، فإنّه قرأ" ولا تشرك" بالتاء جزمًا[36].

والحجة لمن قرأه بالياء والرفع أنه جعله خبرًا عن الله تعالى وجعل (لا) فيه بمعنى (ليس) على تقدير: ليس يشرك في حكمه أحدًا، والمعنى ليس يشرك اللهُ في حكمه أحدًا[37]، وفي حكمه بمعنى: في قضائه[38] أمّا قراءة ابن عامر بالتاء جزمًا، - وقرأ بها الحسن البصري[39] وأبو رجاء وقتادة والجَحْدري[40] وأبو حيوة وزيد وحميد بن يعقوب والجعفي واللؤلؤي عن أبي بكر كذلك-[41]، فاحجة فيها أنّه قصد الرسول ﷺ، ووجّهه إلى غيره، وجعل (لا) للنّهي، فجزم الفعل بها، ويقوّي هذه القراءة بالتاء ما بعده" واتل ما أوحي"، والمعنى:" لا تنسبن أحدا إلى علم الغيب"[42].

4 - الآية "التاسعة والثلاثون وهي قوله تعالى:" إن ترنِ أنا أقَلَّ منك مالاً وولدًا"[43].

ذكر الفرّاء أنّ قوله تعالى:" أقلّ" في هذه الآية الكريمة منصوب على اعتباره عمادًا[44]، وجوّز رفعه بجعله اسمًا، وبيّن أنّ القراءة بهما جائزة[45].

وأكّد الطبري ما ذكره الفرّاء من أنّ "أقلّ" تنصب إذا كان" أنا"عمادًا وترفع إذا اعتبر اسمًا، وبيّن أنّ النصب قراءة الأمصار[46].

إنّ نصب" أقلّ" قراءة الجمهور باعتباره مفعولاً ثانيا للفعل" ترنِ" الذي يعد من أفعال القلوب بمعنى هو "رأى" العلمية لا البصرية لوقوع" أنا" فصلا[47]، وذهب سيبويه إلى أن (أنا) تعرب فصلا وصفة[48]، وأشار أبو جعفر النحاس إلى أنها فاصلة لا موضع لها من الإعراب[49]، وجوّز أن تكون (أنا) في موضع نصب توكيدًا لضمير المتكلم الياء في "ترنِ"[50] إلاّ أنّه حذف، لأنّ الكسرة تدل عليه، وإثباته جيّد بالغ وهو الأصل لأنّه الاسم على الحقيقة[51]، كما سوّغ أبو حيان الأندلسي أن تكون "رأى" هنا بصرية" و"أنا" توكيدًا للضمير في "ترنِ" المنصوب فيكون "أقل" حالا[52].

وجاز هاهنا أن تكون" أنا" فصلا لوقوعها بين معرفة ونكرة تقارب المعرفة، فالمعرفة الضمير الياء في قوله" ترنِ" والنّكرة التي تقارب المعرفة قوله تعالى:" أقل"، لأنه قرب من المعرفة لتعلّق قوله"منكَ" به، وهو منصوب لأنّه المفعول الثاني للفعل" ترنِ" كما سبق بيانه.

أمّا القراءة الثانية برفع "أقلّ"، فقد قرأ بها عيسى بن عمر على جعل" أنا"مبتدأ و"أقلّ" خبره، والجملة في موضع المفعول الثاني للفعل"ترنِ"، والمفعول الأوّل الياء المحذوفة[53].

5- الآية الأربعة والأربعون وهي قوله تعالى:"هنالك الوَلاَية لله الحقّ هو خير ثوابًا وخير عُقُبا"[54].

ذهب الفراء إلى أنّ قوله تعالى:"الحقّ" في هذه الآية الكريمة يرفع على اعتباره نعتا للولاية، وأنّ قراءة أبّي:"هنالك الولايةُ الحقُ لله" تقوّي هذا الرفع، وسّوغ خفض"الحق"على اعتباره نعتا من لفظ الجلالة (الله)[55].

وأكّد الطبري ما ذكره الفراء، مبيّنا أنّ عامة قرّاء المدينة والعراق قرأوا "الحق" خفضًا على توجيهه إلى أنّه من نعت الله وإلى أنّ معنى الكلام: هنالك الولاية لله الحقّ ألوهيته، وأنّ بعض أهل البصرة وبعض متأخري الكوفيين قرأوا" لله الحقّ" برفع"الحقّ" توجيهًا منهما إلى أنه من نعت "الولاية"[56].

كما تناول ابن مجاهد هذه الآية الكريمة بالدراسة مؤكّدا اختلاف القراء في قراءتها، فذكر أنّه قرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وعاصم"الوَلاية" بفتح الواو، "لله الحقّ" خفضًا، وقرأ حمزة" الولاية لله الحقّ" بفتح الواو وضمّ القاف، وقرأ علي بن حمزة

الكسائي:" هنالك الوِلايةُ" كسرًا، "لله الحقُّ" بضمّ القاف، وقرأ أبو عمرو "الولاية لله الحق" بفتح الواو وضم القاف[57].

وعلى هذا، فالقراءة الأولى بخفض" الحقّ" قراءة ابن كثير ونافع وابن عامر وعاصم وحمزة من السبعة، وخرجت على أن"الحق" نعت لله، و"هنالك" إشارة إلى يوم القيامة[58]، وتكون ملغاة فيصبح العامل في "هنالك" الاستقرار الذي قام قوله تعالى:" الله" مقامه[59].

أما القراءة الثانية برفع "الحق"، فهي قراءة أبي عمرو والكسائي من السبعة، وقرأ بها حميد والأعمش وابن أبي ليلى وابن مناذر واليزيدي وابن عيسى الأصبهاني[60]. فتكون" الولاية" مبتدأ ، و"هنالك" خبره، و"الحق" نعت للولاية، والعمل في قوله تعالى:" هنالك" الاستقرار المحذوف الذي قام" هنالك" مقامه، ويجوز أن يكون "لله" خبرًا للولاية[61].

وقيل إنّ جعله خبرًا آخر أولى من جعله صفة لما فيه من الفصل بين الصفة والموصوف، وأمّا على قراءة "الحق" بالخفض على أنّه صفة لله فلا يكون فيه ذلك الفصل[62].

وهناك قراءة ثالثة لكلمة "الحقّ" بالنصب، قرأ بها أبو حيوة وزيد بن علي وعمرو بن عبيد وابن أبي عبلة وأبو السمال ويعقوب عن عصمة عن أبي عمرو[63]، ووجّه الزمخشري النصب في هذه القراءة الشاذة على التأكيد كما يقال: هذا عبد الله الحق لا الباطل[64].

6- الآية الثامنة والثمانون وهي قوله تعالى:" وأمّا من آمن وعمل صالحًا فله جزاءُ الحسنى"[65].

ذهب الفرّاء إلى أنّ قوله تعالى:" فله جزاء الحسنى" من هذه الآية الكريمة يقرأ بنصب الجزاء على التفسير أي التمييز، وجوّز أن يكون "جزاء" مضافًا إلى الحسنى.

وذكر وجها آخر وهو أن يكون"الحسنى" مرفوعًا وكذا "جزاء" مع التنوين، وبيّن أن هذا الوجه لم يقرأ به[66].

وأكد الطبري اختلاف القراء في قراءة هذه الآية الكريمة، فذكر أنه قرأ عامة قراء أهل المدينة وبعض أهل البصرة والكوفة:" فله جزاءُ الحسنى" برفع الجزاء وإضافته إلى الحسنى، ولهذه القراءة وجهان من التأويل: أحدهما: أن يجعل"الحسنى" مرادًا بها إيمان الإنسان وأعماله الصالحة، فيكون معنى الكلام إذا أريد بها ذلك: وأما من آمن وعمل صالحا فله جزاؤها يعني جزاء هذه الأفعال الصالحة، والوجه الثاني أن يكون معنيا بالحسنى الجنة وأضيف الجزاء إليها كما في قوله تعالى:"ولدار الآخرة خير"[67]. والدار هي الآخرة كما في قوله تعالى:" وذلك دين القيمة"[68] . والدين هو القيم، وقرأ آخرون:" فله جزاءً الحسنى" بمعنى: فله الجنّة جزاء، فيكون"الجزاء" منصوبا على المصدر بمعنى: يجاز بهم جزاء الجنة[69].

كما تعرض ابن مجاهد لاختلاف القراء في قراءة هذه الآية الكريمة مبينًا أنّه قرأ ابن كثير ونافع وعاصم في رواية أبي بكر وابن عامر وأبو عمرو" فله جزاءُ الحسنى" مضافًا مرفوعًا، وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم:" جزاء الحسنى" منونًا منصوبًا[70].

فالحجّة لَمن قرأ بالرّفع والإضافة أنه رفع"الجزاء" بالابتداء وأضافه إلى "الحسنى"، وقوله "له" الخبر، يريد به: فجزاء الحسنى له، والحسنى هنا بمعنى الإحسان والحسنات[71]، فيقدر: فله جزاء إحسانه أي له جزاء الأعمال الحسنى، ويحتمل أن يجعل" الحسنى" الجنّة ويكون الجزاء مضافًا إليها، [72] وقيل" الحسنى" في موضع رفع على البدل من "جزاء" فحذف التنوين لالتقاء الساكنين، و"الحسنى" على هذا هي الجنة[73].

أما قراءة نصب"جزاء" بالتنوين، فوجه النصب فيها إمّا على التفسير أي التمييز وهو قول الفراء كما سبق ذكره، أو على المصدر كما ذهب إليه الطبري.

7- الآية الثانية بعد المائة وهي قوله تعالى:" أفحسبَ الذين كفروا أن يتّخذوا عبادي من دوني أولياء"[74] .

بيّن الفرّاء أنّ قوله تعالى:" أفحسب" من هذه الآية الكريمة قرأه أصحاب عبد الله بن مسعود ومجاهد بكسر السين على أنه فعل ماض عمل النصب في "أن يتخذوا"، وأن علي بن أبي طالب قرأه "أفحسب" بإسكان السين على أنه اسم مبتدأ عمل الرفع في قوله تعالى:" أن يتخذوا"[75] .

إنّ قراءة" أفحسب" بكسر السّين هي قراءة العامة على أنّه فعل ماض ناسخ ينصب مفعولين أصلهما مبتدأ وخبر، وقد سد" أن يتخذوا" مسدّ المفعولين[76]، ويدل على

أنّ"حسب" هنا بمعنى" ظنّ" قراءة ابن مسعود: "أفظن الذين كفروا"[77] . أمّا قراءة "أفحسب" بإسكان السّين، فقد قرأ بها عليّ بن أبي طالب وابن عباس-عليهما السلام- وابن يَعمر والحسن ومُجاهد وعكرمة وقتادة وابن كثير بخلاف ونُعَيْم بن مَيسرَة والضحاك ويعقوب وابن أبي ليلى[78]، وأوّل الزمخشري هذه القراءة بـ: أفكافيهم ومحسبهم أن يتّخذوا أولياء، على الابتداء والخبر أو على الفعل والفاعل، لأنّ اسم الفاعل إذا اعتمد على الهمزة ساوى الفعل في العمل كقولك: أقائم الزيدان، واعتبرها قراءة محكمة جيدة على معنى أنّ ذلك لا يكفيهم ولا ينفعهم عند الله كما حسبوا[79].

وذهب أبو حيان إلى أن" حسْب" مبتدأ، و"أن يتخذوا" خبره، و لم يجوّز ما ذكره الزمخشري من أن "حسب" عاملة عمل الفعل، لأنّها ليست باسم فاعل، ولا يلزم من تفسير شيء بشيء أن تجري عليه جميع أحكامه[80].

وبهذه الآية الكريمة وما احتوت عليه من قراءات أنهي كلامي هذا موضحة أن توجيه القراءات نحويًا له أهمية كبرى في الكشف عن معاني القراءات المختلفة ودلالتها وأنّ القراءات القرآنية تعدّ مصدرًا مهمًا لكثير من العلوم الإسلامية واللغوية منها علم النحو، وأنّ القراء كانوا يستعينون بتوجيهات النحاة وقواعدهم لتوثيق ما يقرؤون بالدراية، كما كان النحاة يستعينون بمسندات القراء لتوثيق ما يوجهون بالرواية، بمعنى إن القراء كان اعتمادهم على السند والرواية بينما كان اعتماد النحاة في الغالب على القياس والرواية، كما أبيّن أنني اعتمدت في دراسة سورة الكهف على الفراء ابتداء كونه أوّل من ألف في نحو القراءات في معانيه "وهو معدود في طبقات القراء"[81] بل إن الكوفيين هم أوّل من ألف في هذا الاتجاه إذ سلكوا طريق التقعيد على نحو القراءات كما فعل الفراء في معانيه.

وعلى هذا أقول إن علم القراءات من العلوم التي ينبغي الاعتماد عليها في دراسة العربية الفصحى، لأن روايتها هي أوثق الشواهد وأؤكدها.

كما أنني اعتمدت في كتابه الآيات القرآنية على رواية ورش عن نافع.

وفي الأخير، أرجو أن أكون قد وفقت فيما إليه قصدت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الهوامش:

(1) الفاتحة، الأنعام، الكهف، سبأ، فاطر، وكلها تبتدئ بتمجيد الله جل وعلا وتقديسه والاعتراف بالعظمة والجلال والكمال.

(2) ينظر: تفسير روح المعاني، الألوسي، ط2، دار إحياء التراث، بيروت، لبنان، دت، ج15، ص199.وتفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ج15، ص243، 244.

(3) الكهف: 5.

(4) معاني القرآن: الفراء، تحقيق أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار، دار السرور، ج2، ص134.

(5) الكهف: 29.

(6) جامع البيان في تفسير القرآن، ابن جرير الطبري، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت، لبنان، 1418هـ-1997م، ج8، ص176.

(7) مشكل إعراب القرآن، مكي بن أبي طالب، حققه وعلق عليه ياسين محمد السواس، ط3، دار اليمامة، دمشق، بيروت، 1423هـ-2002م، ص413.

وانظر: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل الزمخشري، تحقيق وتعليق موسى عامر، مراجعة الطبع الدكتور شعبان محمد إسماعيل، ط2، دار المصحف، ط2، القاهرة، 1397هـ-1977م، ج3، ص198.

وإملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات، العكبري، راجعه وعلق عليه نجيب الماجدي، ط1، الدار النموذجية، صيدا، بيروت، 1423هـ- 2002م، ص348، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ط5، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1417هـ-1996م، مج5، ج10، ص229.

وتفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، تحقيق وتعليق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي معوض، شارك في تحقيقه الدكتور زكريا عبد المجيد النوني والدكتور أحمد النجولي جمل، قرظه الدكتور عبد الحي الفرماوي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1413هـ-1993م، ج6، ص96.

(8) معاني القرآن، الأخفش الأوسط، حققه فائز فارس، ط1، الكويت، 1400هـ-1979م، ج2، ص394.

(9) الكهف: 29.

(10) الكشاف: ج3، ص198.

(11) تفسير البحر المحيط: ج6، ص95.

(12) الكشاف: ج3، ص198. وانظر: تفسير البحر المحيط، ج6، ص95.
(13) الصف: 3.
(14) انظر: أعراب القرآن، الزجاج، تحقيق ودراسة إبراهيم الأبياري، ط3، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1406هـ-1986م، ج1، ص293.
(15) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، ابن جني، تحقيق علي النجدي ناصف وعبد الحليم وعبد الفتاح إسماعيل شلبي، القاهرة، مصر، 1386هـ-1969م، ج2، ص24، وانظر: إعراب القرآن للنحاس، تحقيق الدكتور زهير غازي زاهد، ط3، عالم الكتب، بيروت، لبنان، 1409هـ-1988م، ج2، ص447، 448، والجامع لأحكام القرآن، مج5، ج10، ص229، 230، وتفسير البحر المحيط، ج6، ص96.
(16) إعراب القرآن، النحاس، ج1، ص293.
وانظر: الجامع لأحكام القرآن، مج5، ج10، ص229.
(17) إعراب القرآن، للنحاس، ج2، ص448.
وانظر: معاني القرآن، الأخفش، ج2، ص393، والمحتسب، ج2، ص24.
ومشكل إعراب القرآن، ص413، والكشاف، ج3، ص198، ص96.
(18) الكهف: 25.
(19) انظر: معاني القرآن، الفراء، ج2، ص138.
(20) جامع البيان، ج8، ص211، 212.
(21) السبعة في القراءات، ابن مجاهد، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1972م، ص389، 390، وانظر: حجة القراءات، أبو زرعة، حققه وعلق حواشيه سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت، لبنان، 1394هـ-1974م، ص414، وإعراب القراءات السبع وعللها، ابن خالوية، حققه وقدم له الدكتور عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، ط1، القاهرة، 1413هـ-1992م، ج1، ص389. والتيسير، أبو عمرو الداني، عني بتصحيحه أوتورِ تزل، استانبول، 1930، ص143.
والجامع لأحكام القرآن، مج5، ج10، ص252، والنشر في القراءات العشر، ابن الجزري، أشرف على تصحيحه ومراجعته الأستاذ علي محمد الضياع، دار الفكر، ج2، ص210.
واتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، الدمياطي، وضع حواشيه الشيخ أنس مهرة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1419هـ-1998م، ص365.
(22) الحجة في القراءات السبع، ص223.

(23) الجامع لأحكام القرآن، مج5، ج10، ص252.
(24) إعراب القرآن، النحاس، ج2، ص453، 454.
وانظر: إعراب القراءات السبع وعللها، ج1، ص389، ومشكل إعراب القرآن، ص416،
والجامع لأحكام القرآن، مج5، ج10، ص252.
(25) الكشاف، ج3، ص250.
وانظر: الجامع لأحكام القرآن، مج5، ج10، ص252.
(26) السبعة في القراءات، ابن مجاهد، ص389.
(27) النشر في القراءات العشر، ج2، ص210.
وانظر: إتحاف فضلاء البشر، ص365.
(28) الكشاف، ج3، ص204.
(29) الحجة في القراءات السبع، ص223.
(30) منهم الطبري كما سبق ذكره.
(31) حجة القراءات، أبو زرعة، ص414.
(32) مشكل اعراب القرآن، ص414.
(33) إملاء ما من به الرحمن، ص350.
وانظر: التبيان في إعراب القرآن، العكبري، تحقيق علي محمد البجاوي، ط2، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1407هـ-1987م، ج2، ص844.
(34) الكهف: 26.
(35) معاني القرآن، الفراء، ج139.
(36) السبعة في القراءات، ص390.
وانظر: حجة القراءات، أبو زرعة، ص415، وإعراب القراءات السبع وعللها، ج1، ص393، والتيسير، الداني، ص143، والجامع لأحكام القرآن، مج5، ج10، ص252، وتفسير البحر المحيط، ج6، ص113، والنشر في القراءات العشر، ج2، ص310، وإتحاف فضلاء البشر، ص365.
(37) الحجة في القراءات السبع، ص223.
وانظر: إعراب القراءات السبع وعللها، ج1، ص393، والتبيان في إعراب القرآن، ج2، ص844، والجامع لأحكام القرآن، مج5، ج10، ص252، وتفسير البحر المحيط: ج6، ص113.
(38) الكشاف، ج3، ص204.

(39) المرجع نفسه.
(40) الجامع لأحكام القرآن، مج5، ج10، ص252.
(41) تفسير البحر المحيط، ج6، ص113.
(42) حجة القراءات، أبو زرعة، ص415.
وانظر: الحجة في القراءات السبع، ص223، وإعراب القراءات السبع وعللها، ج1، ص393، والجامع لأحكام القرآن، مج5، ج10، ص252.
(43) الكهف: 39.
(44) وضمير فصل عند البصريين.
(45) معاني القرآن، الفراء، ج2، ص145.
(46) جامع البيان: ج8، ص225.
(47) تفسير البحر المحيط، ج6، ص223.
(48) الكتاب، سيبويه، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، ط1، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1411هـ-1991م، ج2، ص392.
(49) إعراب القرآن، ج2، ص457.
وانظر: مشكل إعراب القرآن، ص417، والبيان في غريب إعراب القرآن، ابن الأنباري، ضبطه وعلق على حواشيه بركان يوسف هبُّود، دار الأرقم، بيروت، لبنان، ج2، ص88 والتبيان في إعراب القرآن، ج2، ص848، والجامع لأحكام القرآن، مج5، ج10، ص265.
(50) إعراب القرآن، النحاس، ج2، ص457.
وانظر: مشكل إعراب القرآن، ص417، والتبيان في إعراب القرآن، ج2، ص848، وتفسير البحر المحيط، ج6، ص123.
(51) الجامع لأحكام القرآن، مج5، ج10، ص265.
(52) تفسير البحر المحيط، ج6، ص123.
(53) إعراب القرآن، النحاس، ج2، ص457.
وانظر: تفسير البحر المحيط، ج6، ص123.
(54) الكهف: 44.
(55) معاني القرآن، الفراء، ج2، ص146.
(56) جامع البيان، ج8، ص228.
(57) السبعة في القراءات، ص392.

وانظر: إعراب القراءات السبع وعللها، ج1، ص296، والكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها، مكي بن أبي طالب، تحقيق الدكتور محي الدين رمضان، ط5، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1418هـ-1997م، ج1، ص296. والتيسير الداني، ص143، وتفسير البحر المحيط، ج6، ص124، والنشر في القراءات العشر، ج2، ص311، وإتحاف فضلاء البشر، ص367.

(58) الحجة في القراءات السبع، ص224.

وانظر: القراءات السبع وعللها، ج1، ص396، والكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها، ج2، ص63، ومشكل إعراب القرآن، ص418، والكشاف، ج3، ص209، والتبيان في إعراب القرآن، ج2، ص849، وتفسير البحر المحيط، ج6، ص124.

(59) مشكل إعراب القرآن، ص418..

(60) تفسير البحر المحيط، ج6، ص124.

وانظر: إعراب القرآن، النحاس، ج2، ص459، وإعراب القراءات السبع وعللها، ج1، ص396، والكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها، ج1، ص63، ومشكل إعراب القرآن، ص418.

(61) مشكل إعراب القرآن، ص418.

(62) البيان في غريب إعراب القرآن، ج2، ص89.

(63) تفسير البحر المحيط، ج6، ص124.

(64) الكشاف، ج3، ص209.

(65) الكهف: 88.

(66) معاني القرآن، الفراء، ج2، ص159.

(67) يوسف: 109.

(68) البينة: 5.

(69) جامع البيان، ج8، ص275، 276.

(70) السبعة في القراءات، ابن مجاهد، ص398.

وانظر: إعراب القرآن، النحاس، ج2، ص471، وحجة القراءات، أبو زرعة، ص430، والتيسير، الداني، ص145، والجامع لأحكام القرآن: مج6، ج11، ص36، والنشر في القراءات العشر، ج2، ص315، وإتحاف فضلاء البشر، ص371.

(71) الحجة في القراءات السبع، ص230

وانظر: حجة القراءات، ص430ن ومشكل إعراب القرآن، ص422، والجامع لأحكام القرآن، مج6، ج11، ص36.

(72) حجة القراءات، ص430.

(73) إعراب القرآن، النحاس، ج2، ص471.

وانظر: مشكل إعراب القرآن، ص422، والجامع لأحكام القرآن، مج6، ج11، ص36

(74) الكهف: 102.

(75) معاني القرآن، الفراء، ج2، ص160، 161.

(76) إملاء ما من به الرحمن، ص357.

وانظر: التبيان في إعراب القرآن، ج2، ص862، 863.

(77) الكشاف، ج3، ص221.

وانظر: تفسير البحر المحيط، ج6، ص157.

(78) المحتسب: ابن جني، ج2، ص34

وانظر: الكشاف، ج3، ص221، وتفسير البحر المحيط، ج6، ص157.

(79) الكشاف، ج3، ص221.

(80) تفسير البحر المحيط، ج6، ص157.

(81) غاية النهاية في طبقات القراء، ابن الجزري، عُني بنشره، ج، براجستراسرا (G.Bergstrasser)، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1352هـ-1993م، ص371.

(82)-غاية النهاية في طبقات القراء، ابن الجزري، عُني بنشره، ج.براجستراسرا G.Bergstrasser ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1352هـ-1993م، ص371.